لعباده ورضيه لنفسه وجعله مستقيما يعني الإسلام وقال ابن مسعود يعني القرآن لأن فيه الوعد والوعيد والثواب
والعقاب كطريق الاستقامة والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه وعمل به وأوصل طريق الاستقامة والسواء **قد
فصلنا الآيات** يعني قد بينا آيات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والأمر
والنهي وغير ذلك من أحكام القرآن **لقوم يذكرون** يعني لمن يتذكر ويتعظ بما فيها من المواعظ
والعبر قال عطاء يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان **لهم دار السلام عند
ربهم** يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال الحسن والسدي السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى
السلام في أسماء الله تعالى ذو السلام وهو جمع سلامة لأنه تعالى سلم والسلامة من جميع الآفات وا
النقائص فعلى هذا القول أضيف الدار إلى السلام الذي هو اسم الله تعالى إضافة تشريف وتعظيم
كما قيل للكعبة بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وأنه لما قام عبد الله يدعوه وأشبه
لهذا أن إضافة الدار إلى الله تعالى في غاية التشريف والتعظيم فكان ذكر الإضافة مبالغة في تعظيم
أمرها وقيل إن السلام صفة للدار لأنها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون السلام بمعنى
السلامة كأنه قال لهم دار السلامة التي لا يلقون فيها شيئا يكرهونه وقيل سميت بذلك لأن جميع
حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى في وصفها ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما
وقوله عند ربهم يعني أن الجنة معدة مهيأة لهم عند ربهم حتى يوصلهم إليها **وهو وليهم بما
كانوا يعملون** يعني أنه تعالى يتولى أمرهم وإيصال المنافع إليهم ودفع المضار عنهم وقيل معناه
أنه يتولاهم في الدنيا بالتوفيق والهداية وفي الآخرة بالجزاء والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعني
أنه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم في الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها إليه
في الدنيا قوله عز وجل **ويوم يحشرهم جميعا** أي واذكر يا محمد يوم نحشر الثقلين الجن والإنس
مع أوليائهم من الشياطين يعني نحشر المشركين والشياطين جميعا في يوم القيامة **يا معشر الجن**
فيه حذف تقديره يقول الله يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين **قد استكثرتم
من الإنس** يعني من إضلالهم وإغوائهم وقال ابن عباس معناه أضللتم كثيرا من الإنس وهذا التفسير
لا بد له من تأويل لأن الجن لا يقدرون على إضلال الإنس وإغوائهم بأنفسهم لأنه لا يقدر على إجبار أحد
إلا الله تعالى لأنه هو المتصرف في خلقه بما شاء فوجب أن يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء إلى
الإضلال مع مصادفة القبول من الإنس **وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض**
يعني استمتع الجن بالإنس والإنس بالجن فأما استمتاع الإنس بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية
إذا سافر فنزل بأرض قفر وخاف على نفسه من الجن قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه فيبيت
في جوارهم وأما استمتاع الجن بالإنس فهو أنهم قالوا قد سدنا الإنس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون
بذلك شرفا في قومهم وعظما في أنفسهم وقيل استمتاع الإنس بالجن هو ما كانوا يلقون إليهم
من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي كانوا يهوونها وتسهيل سبيلها عليهم
واستمتاع الجن بالإنس طاعة الإنس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع
الإنس بالجن فيما كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات وأصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع
الجن بالإنس هو طاعة الإنس للجن فيما يأمرونهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤساء للإنس والإنس
كالأتباع وقيل إن قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الإنس خاصة لأن استمتاع
الجن بالإنس وبالعكس أمر نادر ولا يكاد يظهر أما استمتاع الإنس بعضهم ببعض فظاهر فوجب
حمل الكلام عليه **وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا** يعني أن ذلك الاستمتاع كان إلى أجل معين
ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الأجل الموت وقيل هو وقت البعث
الحساب

الحساب في يوم القيامة **قال النار مثواكم** يعني أن النار مقامكم ومقركم ومصيركم إليها **خالدين
فيها** يعني مقيمين في نار جهنم أبدا **إلا ما شاء الله** اختلفوا في معنى هذا الاستثناء فقيل معناه خالدين
فيها إلا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب إلى حين دخولهم إلى النار لأن هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار
وقيل المراد من هذا الاستثناء هو أوقات نقلهم من عذاب إلى عذاب آخر وذلك أنهم يستغيثون من النار فينقلون
إلى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون إلى النار فكان مدة نقلهم هو المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور
المفسرين عن ابن عباس أنه قال إن هذا الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون ويصدقون
النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا القول يكون ما في قوله إلا ما شاء الله بمعنى من يعني
إلا من شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس أنه كان يتأول هذا الاستثناء أن الله عز وجل أمر هؤلاء القوم في مبلغ
عذابهم إلى مشيئته وقال في هذه الآية أنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا
قال الزجاج والقول الأول أولى لأن معنى الاستثناء إنما هو من يوم القيامة لأن قوله ويوم نحشرهم جميعا هو يوم
القيامة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم
إن ربك حكيم يعني في تدبير خلقه وتصريفه إياهم في مشيئته من حال إلى حال وغير ذلك من أفعاله وقيل
حكيم فيما يفعله من ثواب الطائع وعقاب العاصي وفي سائر وجوه المجازاة **عليم** يعني بعواقب أمور
خلقه وما هم إليه صائرون كأنه قال إنما حكمت لهؤلاء الكفار بالخلود في النار لعلمي أنهم يستحقون ذلك
قوله عز وجل **وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا** الكاف في كذلك كاف التشبيه تقتضي شيئا تقدم
ذكره فالتقدير كما أنزلت العذاب بالجن والإنس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين
بعضا أي نسلط بعضهم على بعض فنأخذ من الظالم بالظالم كما جاء في الأثر من أعان ظالما سلطه الله عليه
وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فالمؤمن ولي المؤمن حيث كان وأين كان والكافر ولي الكافر حيث كان وأين
كان وفي رواية أخرى عن قتادة ونتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الإنس
ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الإنس يعني نكل بعضهم إلى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية هو أن
الله تعالى إذا أراد بقوم خيرا ولى عليهم خيارهم وإذا أراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول
إن الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عليهم ظالما مثلهم فمن أراد أن يتخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك
الظلم وقوله تعالى **بما كانوا يكسبون** يعني نسلط عليهم من يظلمهم بسبب أعمالهم الخبيثة التي
اكتسبوها قوله تعالى **يا معشر الجن والإنس** المعشر كل جماعة أمرهم واحد والجمع المعاشر **ألم يأتكم
رسل منكم** اختلف العلماء في معنى هذه الآية وهل كان من الجن رسول أم لا فذهب أكثر العلماء إلى أنه لم يكن
من الجن رسول وإنما كانت الرسل من الإنس وأجابوا عن قوله رسل منكم يعني من أحدكم وهم الإنس فهو من حذف
المضاف فهو كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب وإنما
جاز ذلك لأن ذكرهما قد جمع في قوله مرج البحرين وهو جائز في كل ما اتفق في أصله فلذلك لما اتفق
ذكر الجن مع الإنس جاز مخاطبتهما بما ينصرف إلى أحد الفريقين وهم الإنس وهذا قول الفراء والزجاج
ومذهب جمهور أهل العلم قال الواحدي وعليه دل كلام ابن عباس لأنه قال يريد أنبياء من أنفسهم ولم يكن
من جنس الجن أنبياء وذهب قوم إلى أنه أرسل إلى الجن رسلا منهم كما أرسل إلى الإنس رسلا منهم قال
الضحاك من الجن رسل كما من الإنس رسل وظاهر الآية يدل على ذلك لأنه تعالى قال ألم يأتكم رسل منكم فخاطب
الفريقين جميعا وأجيب عن ذلك بأن الله قال يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون
الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع وإذا كان الرسل من الإنس كان الرسل بعضا من أبعاض هذا المجموع فكان هذا
القول أولى من حمل لفظ هذه الآية على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الإنس لا من الجن ويحتمل أيضا أن يقال
إن كافة الرسل كانوا من الإنس لكن الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل
من الإنس ثم يأتون قومهم من الجن فيخبرونهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما قال تعالى وإذ صرفنا

Copyright ... University